الدنيا والدين في عام خمسة وعشرين

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

﴿رومية﴾ كانت السنة المنتهية من اسعد السنين للكنيسة المقدسة. في يوم عيد ميلاد الرب سنة ١٩٢٤ افتتح البابا بيوس بحفلة جميلة السنة اليوبيلية بفتح باب كنيسة الفاتيكان الخاص الذي يبقى موصداً في ما سوى ذلك. وكانت جماهير الزوار تنتظر قداسته لتدخل منهُ وتنال من النعم المنوطة بتلك السنة المباركة. ومذ ذاك اليوم الى مثله في السنة المقبلة كانت الالوف المؤلفة تتقاطر الى رومية من كل انحاء المعمور فتحجّ الى ضريحَي القديسين الرسولين بطرس وبولس وتتبرّك بزيارة اجلّ واعظم كنائس عاصمة العالم الكاثوليكي. وقد أُحصي عدد الزوّار فاذا هو ينيف على ألفَي الف. وكان في جملتهم عدد وافر من غير الكاثوليك الذين عادوا الى اوطانهم والسنتهم تتطرّب بالثناء على رومية وحبر احبارها الذي لم يأخذهُ ملل في استقبال الوفود ومؤانستهم والقاء الخطب الجليلة على مسامعهم. ومما يستحقّ الذكر انّ كثيرين من الزوّار قصدوا المدينة المقدسة مشاةً ساروا اليها على الاقدام من بلاد شتى كپولونية والمجر وصقلية

وكان الزوّار بعد اتمامهم فرائض اليوبيل ينتقلون الى حدائق الفاتيكان ليستمتعوا الحاظهم بمشاهد معرض الرسالات الكاثوليكية وهناك جُمعت ألطاف العالم وعجائب المصنوعات التي يُعنى بعملها المرسلون في سائر الاقطار حتى اقاصي المعمور واسحق البلاد والجزائر والبحار (١

وقد جرت في هذا العام رتب وحفلات عديدة في ام المدائن الكاثوليكية. لا شبيه لها في غيرها. نخص بالذكر حفلات تثبيت قديسين واعلان اسماء مطوّبين ازدحمت وفود العالم لحضورها وممن أُعلنَت قداستهم خوري أرس الشهير يوحنا ڤياناي ويوحنا اود (J. Eudes) منشئ جمعية الاودنست العميمة الفضل والقديسة تريزيا الطفل يسوع والقديستان صوفيا بارا (Sophie Barat) ومريم المجدلية پوستل (M.-M. Postel)

١) راجع في العدد السابق من المشرق ك ١ ١٩٢٥ مقالة الاديب يوسف افندي المدوّر في وصف المعرض المذكور

وكلهم فرنسويون يُضاف اليهم القديس الماني بطرس كانيزيوس اليسوعي الهولندي رسول المانية في القرن السادس عشر . وممَّن أعلن تطويبهم من الفرنسويين ايضاً برندات سوبيروس الراهبة التي شرَّفتها العذراء مريم بظهورها لها في لورد سنة ١٨٥٨ ثمَّ شهداء كندا الثمانية اليسوعيُّون في القرن السابع عشر و٣٢ راهبة استشهدن في فرنسة سنة ١٧٩٤ بحكم ارباب الثورة الفرنسويَّة الجائر لانهنَّ لم يرضَيْن جحود دينهنَّ ونذورهن الرهبانيَّة فقُتلن في مدينة أورنج . وغير هؤلاء ايضاً كان المجمع المقدَّس دقَّق النظر مدَّة سنين طويلة في سيرة حياتهم وسموّ فضائلهم وكراماتهم والمعجزات التي جرت بشفاعتهم

وغاية ما يقال انَّ يوبيل العام المنصرم انشأ في النفوس غيرة جديدة وبعث فيها روح التقوى والعبادة . وكان سبباً لارتداد كثيرين الى جادَّة الصلاح

﴿فرنسة﴾ كانت شؤون فرنسة السياسيَّة في العام الماضي في اضطراب . فان الحزب الاشتراكي الضابط السلطة مع السيو هيريو لم يقُم بالمواعيد التي خدع بها منتخبيه ليقلب رئاسة ميلران ووزارة پوانكره . بل زادت احوال الدولة الماليَّة والاقتصاديَّة انحطاطاً . وكان في الوقت ذاته يُصلي الكنيسة حرباً عواناً وهو مدفوع الى تطرُّفه الكفري من الماسونيَّة واعداء الدين . وكان مع هذا يزكي المجرمين وينال لهم من محازبيه الصفح عن خيانتهم نحو الوطن ويعهد اليهم بالمناصب الرفيعة . فما لبث ان انكشف خداعهُ فسقط وقامت بعدهُ في اواسط شهر نيسان وزارة پانلفه (M. Painlevé) فلم تستقِمْ الَّا بضعة اشهر وهي من الحزب الاشتراكي كوزارة هيريو وان كانت اكثر اعتدالاً . فصارت ازمَّة الدولة في ايدي ارستيد بريان . وبهِ بلغ عدد الوزارات في فرنسة ٦٦ وزارة منذ قيامة الجمهوريَّة الثالثة سنة ١٨٧١ وحتى الآن لم يجد ارباب الدولة الدواء الناجع لعودة السلام واصلاح الاحوال . فضلاً عمَّا يبهظ عواتق فرنسة من الديون البالغة

اما شؤون فرنسة الدينيَّة فكانت على خلاف ذلك تشعر بنهضة جديدة . فان مجاهرة هريو وحزبهِ بمعاداة الدين ومناهضة الكاثوليك وتنفيذ الشرائع الجائرة في حقِّهم أدَّى الى خلاف ما أمَّلهُ اشياع الكفر والجور . فقامت فرنسة الكاثوليكية في كلّ انحاء البلاد ملبيةً الى اصوات عموم كرادلتها واساقفتها وكبار زعمائها كالجنرال

كستلنو ومندوب معاملة جيرُنـد الكاهن برجي (Bergey) وبريح الحرب الاب اليسوعي دونكور (Doncœur) فتقاطرت الجماهير من ٢٠ الى ٣٠ الى ٥٠ و٨٠ الفاً في معظم حواضر فرنسة ليسمعوا اساقفتهم وخطباءهم ويحتجُّوا بهم على المعاملات الجائرة والشرائع الظالمة التي خُصَّ بها الكثوليك وهم تسعة اعشار الفرنسويين فشكَّلوا الدوائر واللجنات لتنظيم قواهم وألَّفوا الجمعيَّات لتوحيد كلمتهم والدفاع عن حقوقهم وبلَّغ احبارُ الكنيسة ارباب الدولة التقارير التي اتَّخذوها بازاء معاديهم فيدافعون عنها اذا اقتضى الامر حتى بالقوَّة المادِّيَّة ريثما تُلغى السُّنن الجائرة ويعطى الكاثوليك الحرِّيَّة التامَّة في كل امورهم الروحية والادبيَّة والسياسيَّة. فكانت نتيجة هذه المظاهرات انَّ الحكومة عدلت نوعاً عن سياسة هيريو وأبقت السفارة لدى الثاتيكان التي طلب هيريو الغاءها وطمأنت سكان الزاس ولورين بخصوص حرِّيتهم الدينيَّة التي تهدِّدها الاشتراكيُّون وتوقَّفوا عن مناهضة الرهبانيَّات. والامل معقود انْ الكاثوليك لا يكفُّون عن الدفاع الى ان ينالوا سائر حقوقهم المهضومة

وفي هذه السنة احتفلت الكليَّات الجامعة الكاثوليكية في باريس وليون وتولوز وليل وأنجه يوبيلها الذهبي. فما رُخص للكاثوليك انشاء الجامعات سنة ١٨٧٥ حتى اسرعوا ففتحوها وجهَّزوها بكل ما تحتاج اليه في تنظيمها ولم يدَّخروا شيئاً من اموالهم واتعابهم واستدعوا لها احذق المعلمين. فما مضى عليها القليل حتى قام الفرسوت ومشايعوهم في مجلس السموم والشيوخ وتحاملوا على تلك الجامعات فاستردُّوا قسماً من حرِّيتها في منح الاجازات. وعلى الرغم من ذلك لم تزل الكليَّات المذكورة في تقدُّم متواصل. وفي الحفلات التي عُقدت في هذا العام بيَّن الاساقفة وبُلغاء الخطباء ما أدَّته تلك الجامعات من الخدم الجليلة لسائر العلوم الدينيَّة والادبيَّة والرياضيَّة والفلكيَّة والطبيَّة بهمَّة بعض اساتذتها بينهم نوابغ الرجال كالاستاذ برَنْدي وغيره

وممَّا اهتمَّ له الاكليروس الفرنسوي امرُ الدعوات الكهنوتية التي أُصيبت بضربة مؤلمة بسبب الحرب الكونيَّة اذ قُتل في ساحة الشرف كثيرون من الكهنة وقلَّ عدد طلبة الكهنوت فاصبحت عدَّة اماكن محتاجة الى مَنْ يقوم برعايتها الدينيَّة. فطلبوا دواء لهذا الداء عساهُ يكون شافياً

وامتازت فرنسة بعدد زوَّارها لرومية العظمى في سنة اليوبيل فقد اناف عدد

من حجّ اليها على ثلثين الفاً وتتظلّت اذ ذاك نحو خمسين قافلة تتألف كلّ واحدة من بضع مئات. وكان الزوّار يجاهرون بتقواهم وشعائرهم الدينيّة حيثما ساروا

وقد أسِفت فرنسة في هذه السنة على فقدان بعض اعيانها ديناً ودنيا منهم الجنرال مَنْجان المتوفّى في ١٢ أيار ١٩٢٥ وقد امتاز في كل ما تولّاهُ من الاعمال الشريفة في خدمة وطنه منذ كان في افريقية كرفيق الكشافة مَرْشان في فاشودا (١٨٩٦ — ١٨٩٩) واليه يعود الفضل في تخليص مراكش سنة ١٩١٢. وكان في الحرب الكونية بطلاً مغواراً ومن اكبر المساعدين في الانتصار النهائي على الالمان. وكان ايضاً من الكتبة البارعين جازاهُ المجمع العلمي في فرنسة باكبر جوائزه في ١١ حزيران ١٩٢٥. وكان منجان من اعرق مواطنيه بالدين لا يأخذهُ في ممارسة واجباته لومة لائم

وتوفي قبلهُ في ١٦ ك٢ جنرال آخر لنرزاك (Lanrezac) من كبار القوّاد كان حارب الالمان سنة ١٨٧١ فرُقّي الى رتبة ضابط ولم يزل يترقّى في مناصب العسكرية. وكان من الممتازين بالآداب الحربية اظهر براعتهُ في الحرب الكونيّة اذ تحاملت عليهِ كل قوّات العدوّ في شرْلِروا فردَّ جيشهُ سالماً الى جهات نهر مَرْن. وقد شرّفتهُ الحكومة بوسام صليب جوقة الشرف سنة ١٩٢٤

وخسرت فرنسة من علمائها الكاهن العالم بطرس روسلو (P. Rousselot) كما اشرنا اليهِ سابقاً وهو مخترع فنّ درس الاصوات وخواصها وتمييز نَبَراتها وقد نفعت اكتشافاتهُ وطنهُ فاستفادوا منها في الحرب لتعريف مواقع الغوّاصات والبطاريّات

ومن علماء فرنسة الطبيعيين كميل فلامّاريون (C. Flammarion) توفي في ٤ حزيران ١٩٢٥ كان من كبار الفلكيين وقد صنّف كتباً كثيرة في تعميم العلوم الطبيعية والفلكية. وانّما يؤخذ عليهِ ترويج مزاعم باطلة في امور الحياة الآخرة فنّدها العلماء الاعلام وزيّفوها

وكان مثلهُ تطرُّقاً كاتب آخر قضى قبلهُ في ت ٢ ١٩٢٤ نريد بهِ اناطول فرنس. اشتهر بفنون الكتابة لولا انهُ نفث في تآليفهِ روح الكفر ودكّ اساس الآداب فاصبحت تآليفه عثرة في سبيل الناشئة

وقد سُررنا بانتخاب لويس برتران كعضو في الاكاديمية الفرنسويّة في مكان المرحوم موريس بارّس وهو من الكتبة المفلقين مثلهُ لكنهُ يفضلهُ بتديّنهِ وشدّة

ايمانه . وقد زار الشرق غير مرة وكتب عنه الفصول الشائقة . وله وصف بديع لبيروت وخص بثنائه كليتنا الجامعة

﴿ايطالية﴾ قد تغيرت احوال ايطالية منذ قام موسوليني وانشأ حزبه الفاشستي فانه أدى لوطنه خدماً يبقى له ذكرًا مخلداً لاسيما منذ ناشب الحرب الماسونية فضغط على رؤسائها واقفل محافلها واوقف مشايعيها وطردهم من الجندية ومن وظائف الدولة فنقم عليه الماسون . وسعوا في هذا السنة الى قتله فاطلع على دسائسهم وزج في ظلمات السجن الجنرال زانيبوني ولويجي كابلو المؤتمنين على قتله

فزادت بذلك شهرة موسوليني وتمكن مواطنيه به . والحق يقال انه استحق شكرهم بما نالوه عن يده من امان وراحة ورقي . فبفضله تحسنت احوال التجارة والصناعة . فان صادرات ايطالية كانت في العام السابق اربعة مليارات و ٨١ مليوناً فبلغت في العام الاخير ستة مليارات بنيف . وزادت ارباح السكك الحديدية عشرين في المئة . وقد أزال ما كان من النزاع بين ارباب الصنائع والعملة بحكم عادل . وقد وجدت الكنيسة فيه صديقاً وميناً لاسيما في اتخاذ الوسائل الكافلة براحة زوار رومية في اليوبيل . وهو اليوم يفكر في تنصيب الملك امبراطوراً لتقوى به الدولة

ومما ساعد على تحسين احوال ايطالية ما نالهُ موسوليني بسياسته الحكيمة لدى اميركا من التسامح ببعض ديونها على ايطالية وتسهيلات ممنوحة لها في دفع الديون الباقية تمكن احد علماء ايطالية من النزول الى قعر البحرين المتوسط والادرياتيكي واوقد هناك مصباحاً كهربائياً تبلغ قوة نوره ٣٠٠،٠٠٠ شمعة واستطاع بذلك ان يأخذ صور الاسماك الغريبة التي تعيش في تلك الاعماق البعيدة وعرض صورها على الرئيس موسوليني في السينما

﴿اسبانية﴾ لا تزال متعلقة بملكها الفرنس لا يُستثنى من اهلها في ذلك إلا بعض الشيوعيين والغرمون على مألوف عادتهم في اثارة الفتن . وقد كرروا في هذا العام المظاهرات المعربة عن امانتهم وحبهم لملكهم . وقد تحسنت امور الدولة الداخلية منذ عهد تدبير الامور الى بريمو دي ريفيرا فانهُ بتشددهِ على محبي الثورات اعاد للبلاد الراحة والامان . وقد اكتشف الشرط في هذا العام مؤامرة تولاها بعض الضباط الماسونيين في برشلونة لقلب السلطة المالكة واعلان الجمهورية ففشل اصحابها وألقي عليهم القبض

وكانت اسبانية في اوائل هذا العام قلقة بسبب حربها في مراكش فان جيوشها اضطرت الى اخلاء المدن الداخلية التي كانت استولت عليها منذ السنة ١٩١٢ فلم يبق لها غير المدن الساحلية الريفية. وكان زعيم القبائل الاسلامية هناك عبد الكريم ينوي ضبط ما بقي لها في السواحل. واخذ كذلك يغير بجنوده على الاراضي التي احتلها الفرنسويون واتسعت الثورة واستفحل الامر ولم تخمد نار الحرب الا بعد وقائع عديدة ولاسيما بعد اتحاد الجيوش الاسبانية والجيوش الفرنسوية فاضطر العدو الى طلب الصلح في اوائل كانون الاول

بريطانية العظمى لها اليوم التفوق على الدول بنفوذ سياستها وقوتها البحرية وعدد مستعمراتها في كل اطراف العالم. وقد اضافت اليها في غرة ايار ١٩٢٥ مستعمرة قبرس التي كانت منذ السنة ١٨٧٨ باسطة فقط عليها حمايتها

وبعد سقوط وزارة مكدونلد زعيم حزب العمال ورجوع الحزب المحافظ الذي يرئسه بلدوين اخذ المحافظون حذرهم من الشيوعية والبولشفية التي تهدد انكلترة كبقية الدول. وقد اكتشفوا رسالة سرية لاحد رؤساء السوفيات زينوفياف يعلن فيها ما ينويه البولشفيون لقلب السلطة المالكة في بريطانية العظمى كانت نتيجتها قطع العلاقات مع لينينغراد

ولا تزال مسألة العمال واعتصاباتهم تشغل بال الدولة فان عدد العملة الذين كانوا خالين من الشغل بلغ في تموز الى ١،٣٠٠،٠٠٠ عامل فهذا مشكل لا بد من حل عقدته

ان قتل السردار «لي ستيك» في ١٩ تشرين الثاني سنة ١٩٢٤ استدعى استئنافاً لضغط انكلترة على مصر وقد وقفت في هذه السنة على القتلة وحكمت عليهم بالاعدام. وقد ساعدت على مناهضة حزب زغلول باشا وزارة احمد باشا زيور المعتدلة. غير ان الناشئة الجديدة باغراء بعض المتطرفين لا يريدون ان يخالدوا الى الهدوء فيزيدون احوال الدولة ارتباكاً وبدلاً من الاستقلال التام الذي يطلبونه يعرضون بوطنهم الى فقدان حريته الحاضرة بوضع انكلترة يدها على مصر. وقد ارسلت مؤخراً كمرضها في قطر النيل لويد جورج السياسي الداهية

قد تعددت المقاولات بين فرنسة وانكلترة لاسباب يغلب عليها سوء تفاهم

واختلاف نظر مع شيء من الاعمال الدالّة على تظرّف الانكليز فحصل من جرّائها نفور بين ساسة الامور في فرنسة. وانما انقشعت تلك الغيوم بعد مفاهمة لوكارنو ومواجهة بريان لارباب الدولة البريطانيّة. وكذلك وقع اتّفاق بين الدولتين في امور سوريّة لايقاف الحركة الدرزيّة

وفي العام الماضي فقدت انكلترّة بعض كبار دولتها. فتوفي في لندن في ٢٠ آذار اللورد كرزون السياسي الشهير الذي كان في زمن الحرب متولّياً تدبير الطيران والحرب الجوّيّة ثمّ صار وزيراً للخارجية. وكل يعرف نفوذهُ في جمعية الامم في لوزان ومبالغتهُ في تغليب سياسة وطنهِ

وفي ٧ أيار حلّ الاجل بالاميرال ستوردي (A. Sturdee) وهو الذي انتصر على الاسطول الالماني في جزائر فلكلند في ٨ ك١ سنة ١٩١٤

وفي ٢٢ من الشهر كانت وفاة المرشال فرنش الذي شرّف دولتهُ في الحرب الكونيّة فحارب ببسالة في وقائع المرن واشتهر خصوصاً في واقعة فلندر بمساعدة المرشال فوش فنال من دولتهِ لقب «كونت ايپر» ثمّ تعيّن بعد الحرب كنائب الملك في ايرلندة

وفي هذه السنة عينها توفيت الكسندرة ملكة انكلترّة سابقاً ارملة ادوار السابع ووالدة الملك جورج ولها من العمر ٨١ سنة وكانت في آخر عمرها منقطعة الى عمل الخير. وكانت مع كونها بروتستانية المذهب متعبدة للعذراء مريم وقد قصدت مرّتين معبد لورد لتطلب اوّل مرّة شفاء ابنها الملك ادورد واذ نالت طلبها قصدتهُ ثانية لتشكر العذراء على شفائهِ ونصبت ذكراً لتلك النعمة صفيحة جميلة تعرب عن شكرها

اما ارلندة فتنعّمت في العام المنصرم ببركة السلام منذ تعيّن كرئيس جمهوريتها السيد كوسغراف (M. Cosgrave) فانهُ بحكمتهِ نجّى بلادهُ من الفوضى. والرئيس المذكور في عزّ كهوليتهِ وهو رجل ذكي نشيط يتلهّب غيرة لنجاح وطنهِ وبهمّتهِ شيّد عشرة آلاف بيت ممّا كان استولى عليهِ الخراب. وسعى بتجهيز مراكب تجارية لدولتهِ وفي الربيع من السنة ذهب الى رومية للزيارة اليوبيليّة مع قرينتهِ يصحبهما ٨٠٠ من الايرلنديين. ومما يشهد لهُ بالتقوى ما طلب من مجلس الامّة ان تفتتح كل الجلسات بصلاة علنيّة فصدّق الجميع على طلبهِ

(لهُ صلة)